

هل استفدنا حقا من نهج هذا المصلح؟

أ.د. لطيفة حسين الكندري



المفكرون يصنعون تاريخ الأمم، والمجتمع الذي يحترم رواد التربية وينتفع منهم - حق الانتفاع- هو في الحقيقة مجتمع متحضر يحالفه التوفيق، لأن القيم السديدة، والأفعال المجيدة للطليلة المثقفة أساس نهضة الأوطان. ودراسة الأصول الثقافية والتربوية في أي بلد يلمهم الأجيال الجديدة بأفكار إصلاحية لا حصر لها.

امتاز الفكر التربوي عند معلم الكويت الأول يوسف القناعي (1878 - 1973 م) بإيمانه العميق بالتعليم المؤسسي، والتثقيف الذاتي، وضرورة الانفتاح الفكري المتزن على المنجزات الإنسانية والإفادة من المعطيات الفلسفية أينما كانت. وتدل مبادرات القناعي على أنه صاحب سبق وريادة في ميادين سياسية واجتماعية واقتصادية وتعليمية. كثير من آرائه سابقة لعصره، اقترنت باجتهادات جريئة، وانجازات مذهلة.

اعتقد القناعي أن القدوة الحسنة والقراءة وارتداد المكتبات والاطلاع على المجلات وتطوير مؤسسات التعليم ومناهجها والتحرك السياسي السلمي سبيل الارتقاء بالمجتمعات. ولهذا كان معلم الكويت الأول من أبرز المؤسسين للمدرسة المباركية والأحمدية في عصره كان يعيش فيه أناس ينكرون الجديد وإن كان نافعا، ويتشبثون بالقديم وإن كان ضارا. واستكمالا لمنهجه التربوي انتقد القناعي بشدة التغريب، وقيم الاستهلاك، وحذر من التقليل من شأن العمل اليدوي، وطالب باستحداث مؤسسات لرعاية قيم النظافة في الطرقات والبيوت. كان فخورا باللغة العربية، مؤمنا بأهميتها في حفظ الهوية، وكانت مجالسه زاخرة بالأدباء عامرة بمحبي

اللغة العربية. ونجح معلم الكويت الأول يوسف القناعي في ترسيخ معالم تربوية ودعوية سديدة تقوم على ركائز الوسطية التي تتمسك بالدين وتتنصر لمقاصده من جهة، كما تتعايش مع سائر الأديان والمذاهب من جهة أخرى. ومن علامات التسامح في تربية القناعي أنه انتسب لتيار الإسلام العام ولم يروج لجماعة دينية معينة رغم احترامه وتعاونه مع الجميع، وعلاقاته الحميدة مع المذاهب الدينية مثال رائع لسعة فقهه، وصدق انتمائه لهذا الوطن الغالي. آمن القناعي باستحداث القوانين النافعة، وساند الديمقراطية المؤدية إلى تحقيق قيم العدالة وتطبيق روح الشورى، وسعى إلى تأسيس المجالس التشريعية وعاصر نشأة الدستور والقوانين المدنية، وسار نحو مساندة قيم الحرية. لم يعارض العلوم العصرية كالجغرافيا واللغة الإنجليزية ... كما فعل بعض علماء عصره بل طالب بها ووضعها في المناهج الدراسية.

وفي جهاده الاجتماعي ساند القناعي على تمكين المرأة وناصر قضاياها، وانتقد بشدة وشجاعة الممارسات التي تكبح حركتها وتقلل من شأنها. شجاعته جعلته ينبذ المجاملات الكاذبة فانتقد العادات السلبية، وحرص على تدوين مناقب الكويتيين، وأبرزها التآلف والتواضع والكرم ومساعدة المحتاجين وعدم التحاسد فلا يجري بين الكويتيين تقاتل ولا تضارب، وإذا جرى شيء من هذا قاموا بإصلاح الأمور بالحسنى.

يوسف القناعي: قاضي التمييز، المصلح العالم، الورع التقى الداعية إلى الله سبحانه، عرف قدر الفنون الموسيقية وتذوقها، وشارك بشعره الصادق في الاحتفالات بالعيد الوطني، ولم يمانع بالاحتفال بأعياد الميلاد وفق الضوابط ... وأيد تعليم البنين والبنات في الجامعة في قاعة واحدة. وساند فكرة ابتعاث البنات إلى الخارج بغرض التعلم. آمن بالمعارضة الشعبية والحقوق السياسية والدستور من دون الاخلال بالوحدة الوطنية، وأنشأ علاقة ناضجة شفافة نزيهة مع أركان العملية

السياسية، وجعل أساسها التعاون والتفاهم والثقة وصدق
النصيحة والثبات على الحقوق والواجبات. حارب القناعي
بحكمة التشدد الديني، وكذلك هاجم التفلت والتغريب.

ومن الطرق التي انتهجها القناعي استثمار الأحداث
الجارية حيث استغل هو ومن معه من المصلحين يوم
المولد النبوي لاستحداث مدرسة المباركية وهي أضخم،
حدث تعليمي في تاريخ التعليم الكويتي. فهل استفدنا حقا
من نهج هذا لشيخ الجليل الذي يعتبره المؤرخون مصلح
الكويت الأكبر؟

